

شاعرية غاستون باشلار

Poetic Gaston Bachelard

نعيمة بن عروسة

¹ جامعة أحمد زبانة، غليزان (الجزائر) naima.benarroussa@univ-relizane.dz

تاريخ النشر: 2025/06/10

تاريخ القبول: 2025/05/13

تاريخ الاستلام: 2024/09/06

ملخص

يتولى هذا البحث تفحص العلاقة بين الفلسفة والفن ، والمسائل الجمالية في الفكر الغربي ، لنبحث ونركز أكثر على أبرز الفلاسفة المعاصرين الذين عُرفوا واشتهروا باشتغالهم على الحقول المعرفية والعقلية ، مع العمل والبحث في قضايا الفن والتذوق الجمالي ، ولإبراز علاقة الجوار أكثر بين العلم والفن، اخترنا أهم نموذج اهتم بموضوع هذين الحقلين وحاول الجمع بينهما، وهو الفيلسوف الجدلي العقلاني، الفيلسوف الفرنسي الظاهري "غاستون باشلار" الذي عُرف واشتهر بإنتاجه الغزير والوفير في فلسفة العلوم ، وصاحب مقولات فلسفية جمعت بين الإبداع والنقد معتمدا على العقل، بالإضافة إلى التخصص في الأدب والفن، نحن من خلال ورقتنا البحثية هذه سوف نحاول تسليط الضوء على نقلته النوعية من فلسفة العلوم إلى فلسفة الفن والجمال ، لنقف عند روحه الشاعرية ، ونسبح معه في خياله الشعري ، لنتأمل صوره الشعرية، ونلمس نظراته الجمالية، ونتذوق الشعر بين قصائده، ونكشف عن إبداعه وتألقه في المجالين الفلسفي والفني. فما هي أهم المحطات الفنية والجمالية التي وقف عندها باشلار؟ وكيف نظر إلى علاقة العلم بالفن، وهل وُفق في الجمع بينهما؟ وفيما تجلت الروح الشاعرية عنده؟

كلمات مفتاحية: غاستون باشلار، العقلانية، الظاهراتية، الروح الشاعرية، الخيال الشعري.

Abstract: This research examines the relationship between philosophy and art, and aesthetic issues in Western thought, to research and focus more on the most prominent contemporary philosophers who knew and are famous for their work on the fields of knowledge and mentality, with work and research on issues of art and aesthetic taste, and to highlight the neighborly relationship more between science and art, we chose the most important model interested in the subject of these two fields and tried to combine them, a rational dialectical philosopher, the French virtual philosopher "Gaston Bachelard", who was known and

famous for his prolific and abundant production in the philosophy of science Through this research paper, we will try to highlight his qualitative shift from the philosophy of science to the philosophy of art and beauty, to stand at his poetic spirit, and swim with him in his poetic imagination, to contemplate his poetic images, touch his aesthetic view, taste poetry among his poems, and reveal his creativity and brilliance in the philosophical and artistic fields. What are the most important artistic and aesthetic stations at which Bachelard stood? How did he view the relationship between science and art, and did he succeed in combining them? And what was his poetic spirit manifested?

Keywords: . Gaston Bachelard., Rationality., Dahriyat., Poetic Spirit; Poetic imagination

1. مقدمة:

إذا كان اهتمام الفلاسفة منذ القدم بالعقل، والعلوم والوجود، وكان من الصعب إيجاد توجه للفلاسفة إلى مجالات أخرى خارج نطاقات هذين المجالين، خاصة مع الفلسفة الغربية في العصر الحديث وحتى المعاصر، لكن ومع هذا صادفنا في تاريخ الفلسفة منذ الفلسفة اليونانية إلى يومنا هذا عدة نماذج وانتاجات فكرية وأدبية وثقافية، للفلاسفة الغربيين ولكن هذه المرة كان منصبا على الفن والمسائل الجمالية فمنذ الفلسفة اليونانية لمسنا اهتمام بالفن مع كل من "بارمينيدس" والفلاسفة الطبيعيون وصولا إلى "أرسطو" وفن الشعر، إلى الفلسفة الحديثة التي حاولت تجاوز الفكر المتحجر والانفتاح أكثر على الذات والشعور وملامسة الخيال والعواطف، حيث نظر بعض فلاسفة هذا العصر إلى الشعر باعتباره الوجه الثاني للفلسفة وهذا ما وقفنا عليه مع "غادمير" و"غوته" وغيرهم، وصولا إلى الفترة المعاصرة مع الفلسفة الوجودية التي اهتمت هي الأخرى بعلاقة الفلسفة بالفن والتذوق الجمالي، فقد تحدث "هايدغر" بإسهاب عن علاقة الشعر بالوجود، وكذا البحث عن العلاقة العميقة والحميمية بين كل من الشعر والفلسفة من خلال أشعار "هولدرلين".

وقد كعف جملة من الفلاسفة المعاصرين إلى دخول واقتحام عالم فلسفة الفن والجمال، بالرغم من اهتمام العديد منهم بفلسفة العلوم إلا أنهم توجهوا إلى دراسة عمل المخيلة والاهتمام بالصور الشعرية، وهذا ما وقفنا عليه مع الفيلسوف «غاستون باشلار» الذي خصص الجزء الثاني من حياته لدراسة المسائل الجمالية والفنية تاركا إرثا فكريا وأدبيا، وكتبا وانتاجات غزيرة تحدث فيها عن أحلامه، وشاعريته وحبه وميله للأدب وللغنون وللشعر على وجه الخصوص.

"باشلار" الفيلسوف العلمي العقلاني، والظاهري، وحتى الناقد، وصاحب رصيد معرفي وفلسفي يجعله في غني عن دراسة المسائل الجمالية، إلا أنه أكد على أنه ذلك الفيلسوف الفنان الحالم الساعي لملامسة العالم اللاواقعي من خلال الفن والشعر، فكان إنتاجه وفيرا ومبهرا، تاركا بصمته كفيلسوف جمع بين فلسفة العلوم وفلسفة الفن والجمال، واعتبر كمرجع للبحث في المسائل الجمالية الذوقية، مشيدا بعمل المخيلة والإحساس اللاواعي.

نحن من خلال ورقتنا البحثية هذه سوف نسلط الضوء على شاعرية "غاستون باشلار"، ونبحث ونتعمق أكثر في جمالياته ونسبح في خيالاته وشاعريته، لنقف عند أبرز نقاط لاقت اهتمام الفيلسوف من خلال دراسته للمسائل الأدبية والفنية والشعرية على وجه الخصوص. وعليه يمكننا طرح الإشكال التالي: أين تجلت شاعرية باشلار؟، وهل وُفق في التوفيق بين فلسفة العلوم وفلسفة الفن والجمال؟

الفرضيات:

- غاستون باشلار فيلسوف فلسفة العلوم منكبا على دراسة الفن والمسائل الجمال
- محاولة باشلار التوفيق بين العقل والروح
- وظيفة وأهمية الوعي في إنتاج الصور الشعرية
- للخيال أهمية كبيرة في اكتشاف الحقائق والعالم الخفي للذات الإنسانية

الأهداف:

البحث في فلسفة الفن والجمال عند "غاستون باشلار"، والتأكيد على أهمية الروح الشاعرة والحاملة التي تطوق للتحرر، لنقف على أهمية الشعر في إزالة اللبس والغموض والكآبة التي تلف الذات والوجود.

2. الفلسفة والفنون في الفكر الغربي الحديث:

1.2 العلاقة التكاملية بين القول الشعري والخطاب الفلسفي

عانى الفكر الغربي من سنوات الظلام، وتعرض العقل الغربي إلى الانغلاق والاضطهاد بسبب سيطرة الكنيسة وممارساتها الجائرة وقمعها لكل إبداع أو اختراع، لا يخدم توجهها ومصالحها، وبقي الفكر والفلسفة الغربية مع هذه الممارسات حبيس الجهل والتأخر والانغلاق، لكن سرعان ما سعى جملة من الفلاسفة والمثقفين، إلى التحرر وتجاوز عصر الظلمات والبحث عن انفتاح للعقل، فقد انتفض جملة من الفلاسفة والمفكرين والأدباء ساعين إلى التحرر والانعتاق بحثا عن متنفس يزيل ظلمة الفكر والروح معا، فكان الفن متنفسا لهم كتعويض للحياة من ظلمها وبؤسها، حيث أعلن المفكر والفنان الغربي عن بروز وولادة فكر وفلسفة وتوجه جديد على أنقاض ما كان، وبرز الشعر الذي احتل مكانة واسعة في الأوساط الفنية والثقافية الغربية.

نظر بعض الأدباء والفنانون الغربيون إلى الشعر، بوصفه الوجه الآخر للفلسفة فهما وجهان لعملة واحدة، فكلاهما له نفس الهدف والغاية، وكثيرا ما يلتقيان حول فكرة معينة أو موقف معين، فكانت للشاعر فلسفته الخاصة التي يفسر بها العالم ومجرباته ويملك تصورا خاصا به تجاه الكون وانشغالاته، محاولا تفسير رؤيته الشعرية وفق تصور وفكرة فلسفية، يستند إليها "إن الشاعر مثل الفيلسوف وجهة نظر مستقلة من خلالها يرى العالم ويفسره" (العشي، 2009، صفحة 141) من خلال هذه الرؤية الفلسفية ينفرد الشاعر ويتميز وتصبح له خصوصية فكرية وثقافية، تمكنه من تجاوز عالمه الواقعي والانفتاح على عوالم أخرى أكثر نضجا.

تساءل الفيلسوف المعاصر "هانس جورج غادامير" (Hans-Georg Gadamer) (1900-2002) في كتابه تجلي الجميل قائلا: "من ذا الذي يريد أن يفصل بين الشعر والفلسفة؟ بين الصورة المتخيلة والمفهوم، المرتبطين معا في وحدة واحدة على نحو ما نجدتهما في العهدين القديم والجديد" (توفيق، 1997، صفحة 269) من منظور "غادامير" أن الاختلاف الطفيف الذي صاحب كل من الشعر والفلسفة، لا يعد مشكلة على الإطلاق ولا يجب النظر إليه على أنه عائق يحول دون تقاربهما، كما أن الاختلاف والتضاد يعد ميزة الفكر الإنساني والذي بدوره

يبعث ويحفز على التجديد والتقصي، كما يظهر لقاء الشاعر بالفيلسوف من خلال طرح القضايا ومعالجتها بنفس الرؤى والتوجه، فنجد الشاعر يسلك نفس المنحى تقريبا الذي يسلكه الفيلسوف في محاولته لتفسير العالم، وكذا رؤيته للأشياء والموجودات، من خلال حديثه عن الجوهر أو الماهية "وفي ظل قضية الالتزام يلتقي الأديب والفيلسوف من منطلق أسلوب المعالجة للموقف أو عرض القضية، ذلك أن الفيلسوف يعطي فكرة ويُعمل عقله لدرس الظاهرة على أساس التأمل الهادئ الدقيق، وهو التأمل الدقيق الذي نجد له نظير في منطقة معينة من حركة الشعر.. حين يسيطر على الشاعر فلا يستطيع أن يرى من الأشياء شيئا قابلا لطرح فلسفته من خلاله وعندها يكون قد اقتحم على الفيلسوف عالمه" (التطاوي، 1992، صفحة 90)

2.2 الانفتاح الفلسفي على الشعر:

نلمس تفاعل وتداخل بين الفلسفة والشعر عند العديد من الفلاسفة والشعراء، الذين دفعتهم تجربتهم الوجودية، إلى الخوض في مساءلة الوجود والتعبير عن أفكارهم وآرائهم ورؤاهم من خلال المزج بين هذين المجالين، وتجلى ذلك من خلال العديد من القصائد الشعرية والنثرية التي عبرت عن الالتحام بين الفلسفة والشعر، وهذا من شأنه أن يوسع الفكر ويفتح للمشغلين على هذين القطبين المعرفيين آفاقا جديدة، دون أن يضر ذلك بهما، حيث عبر جان ماري جويو (1888-1854) (Jean –Marie) عن هذا المبتغى في قوله: " ونحن نعتقد أن الفكر يمكن أن يصبح أحفل بالروح العلمية والفلسفية دون أن يضير ذلك الشعر " (الدروبي، 1948، صفحة 125) حيث يتوسع فكر الشاعر ويصبح أكثر انفتاحا عن واقعه ومجرياته، محاولا السمو والعلو عليه، وذلك من خلال تفتحه واتصاله بالفكر الفلسفي، الذي يفتح له آفاقا وقضايا يسعى الشاعر لدراستها وتحليلها، وفق المنهج والأسلوب الفلسفي، فالشاعر بهذا المنحى الجديد الذي يسلكه هو يسعى للبحث عن العمق وعن جوهر الأشياء، وبفضل هذا الاتحاد والانصهار والذوبان الذي يحدث بين القول الشعري و الخطاب الفلسفي يمكننا من استكشاف الوجود، والوقوف على أعتاب الحقيقة.

المتتبع لمسار الفكر الغربي الحديث وحتى المعاصر، يجد نماذج كثيرة من الشعراء والفلاسفة الذين امتزجت عندهم الفلسفة بالنص الشعري، وقد كتب "دارين شعرا فلسفيا تناول فيه

جدليات العصر الدينية والسياسية...وتفويض قصيدة الشاعر بوب pope المسماة "مثال في الإنسان " بأصداء فلسفية، وكان لورنس ستيرن من أشد المعجبين بلوك واستخدام آرائه حول التداعي والاستمرار ... " (سلامة(1992, pp. 156-157 , إن هذا الامتزاج بين الفلسفة والشعر عند كبار الشعراء والفلاسفة الغربيين يمكن اعتباره محاولة لمضاهاة الفكر اليوناني والشرقي الذي وصل إلى العالمية ، واشتهر وامتاز بالجودة والإنقان ، والذي كان يرتبط بفضيلة التداخل بين ما هو فلسفي وشعري، فعكف أغلب مفكري وشعراء الفكر الغربي في العصور الحديثة إلى تبني الأفكار الفلسفية والشعرية ، والتعبير عن أفكارهم وأحلامهم وطموحاتهم وحتى آلامهم، من خلال النص الشعري.

برزت في صفوف الباحثين والنقاد نماذج عديدة سعت إلى للمزج بين ما هو في جمالي شعري ، وبين ما هو عقلي فكري،فلسفي، فقد كان " كولريدج من الشعراء الرومانتيكين العظام فيلسوفا، صناعا ذا تطلع وذا شأن يذكر .وكان دارسا مدققا لكانت وشلنج باسطا لأرائهم...وهناك آثار من كانط في شعر ورزورث، وقد تأثر شللي في بادئ الأمر بالفلاسفة الفرنسيين ...)سلامة(1992, p. 157 , يظهر في هذه النماذج استحضارا واستلهاما للفكر الفلسفي من قبل الشعراء ، وتأثيرا كبيرا من جانب الفلاسفة على أفكار وآراء أغلب الشعراء الغربيين ، حيث يتضح لنا التفاعل بين الشعراء والفلاسفة في حل بعض الموضوعات أو الإشارة إليها، ونجد كذلك الاشتراك في الاهتمامات ، والمرجعيات بين هذه النماذج .

ضمن هذا السياق من بحثنا نتساءل عما يمكن أن يضيفه القول الشعري على الخطاب الفلسفي ، لاسيما وأن البعض يعتقد أن الفلسفة لها القدرة على الفهم والتحليل والاكتشاف ما يجعلها تكتفي بذاتها، وتستغني عن غيرها من الوسائل والفنون ، الكشف عن حاجة الفلسفة للشعر يمر عبر تفكيك الشعر إلى عناصره لنعرف خصوصيته، فتبين أنه وبالإضافة إلى طبيعته الرمزية والمجازية يحتكم ، بل ويتغذى على عامل الخيال ، وقد رأى البعض أن الفلسفة هي الأخرى، لا تخلو من عنصر الخيال الذي يسترسل فيه الفلاسفة وفيه يقدمون تصوراتهم، خاصة تلك التي تتطلع إلى ما يجب أن يكون،ومجاورة وكرد فعل عن العقل وتحجره ، وفي محاولة لإحياء العواطف ظهرت " الرومانسية انتقاما من عصر العقل ، انطلق الشعراء الرومانسيون يعتنون بكل ما وصفه جون لوك بأنه نتاج عقلي مزهر

بنفسه ، وقد جاؤوا بكل جديد في الشعر ، وصوروا أدق خلجات نفوسهم " (مبرج، 1994، الصفحات 309-310)

تفاعلت النظرة الرومانسية مع الفلسفة في الفكر الغربي عامة، الألماني على وجه الخصوص، وأصبح الشعراء يعالجون قضايا فلسفية وجودية ، وأضحى الشاعر يساهم في حل القضايا التي تمس الذات وكيانها، من خلال رؤية فلسفية شعرية، فقد تحدث الشاعر " يوهان غوته (Johan Wolfgang von Goethe(1749-1832 في قصيدة "فاوست" عن معاناة الإنسان وأزمته تجاه الحضارة وبحثه المستمر عن الحقيقة، متناولا فيها علاقة الله بالإنسان وصراعه في الأرض، وقد تعرض "غوته" إلى الإنسان كموضوع أساسي لكونه هو مركز الوجود وعماده، والدارس لقصيدة "فاوست" يقف من خلالها على صراع الإنسان المتواصل مع الحياة وبحثه المستمر عن الحقيقة والخلص ، فكانت "أهمية فاوست تتجاوز هذا الحد، هي أكثر من مناقشة فكرة أو البرهنة على قضية ، أو الدعوة لموقف، لتغدو نقاشا عاصفا لتاريخ الإنسان ، تاريخ معرفته وحضارته وثقافته ، لتغدو بالتالي نقدا شاملا لكل النتاجات الإنسانية، والتي نطمئن غلها وتتجسد أهدافا وقيما تشدنا على الدوام " (شيبا، 2009، صفحة 176)

3. باشلار من فلسفة العلوم إلى فلسفة الفن والجمال

1.3 بين العقل والفن

بعد القطيعة التي سادت بين العلم والفن، أو بين العقل والفن ومسألة الجمال، جاء "باشلار" ليكمل طريق من سبقوه من الفلاسفة، ويسير على نفس النهج الذي رسمه الفلاسفة الغربيين السابقين له الذين رأوا في العلاقة بين ما هو شعري وفلسفي علاقة تكامل واحتواء، "فباشلار" هو الآخر جاء ليبين ويبرز العلاقة الوطيدة والمتلازمة بين كل من العقل والممارسة الفنية، أو بين العلم والمسائل الجمالية ، محاولا إزالة الفوارق التي فرضتها الروح العلمية أمام الروح الشاعرية، حيث أكد "باشلار" على أهمية الفنون والرجوع إليها وتذوقها، باعتبارها وثيقة الصلة بالعلم ملازمة له، فالفن بالنسبة له مكمل للحياة العلمية حيث " جاء باشلار

ليبدأ مما تركه العلم، أي من الخيال أو بالأحرى من هذه المنطقة التي يتجاهلها.... فلقد ناهض باشلار مثاليات العلم الطبيعي وانشق عنها، لأنها تشيء الإنسان وتموضعه وتجرده من إنسانيته" (الإمام، 2010، صفحة 29) انصرف "باشلار" من فلسفة العلم منتقلا إلى فلسفة الفن والجمال مهتما أكثر بالجانب الروحي الفني وكذا الذوقي، منكبا على دراسة فن الشعر من خلال اهتمامه بفاعلية الخيال، والتركيز حول أهميتها للذات الإنسانية للتعبير عن الرؤى النفسية الداخلية التي تبهج النفس وتريحها، وقد فتح "باشلار" عهدا جديدا عازما فيه على الانتقال بالعقل من العلم وتوجيهه نحو الخيال الشعري.

أكد "باشلار" على العلاقة الوثيقة بين كل من العلم والشعر، لكن في الوقت نفس يتحدث عن الخصوصية التي يحملها كل جانب " فقد يبدو من الوهلة الأولى أن العلم والشعر يعدان نشاطات إنسانية متميزة ومتمايزة تتعلقان بملكيتين مختلفين فثنائيتهما تمتازان بتناقض العقل والخيال " (الإمام، 2010، صفحة 30) عمل "باشلار" على إرساء نظرية شعرية تزيل اللبس والغموض حول علاقة كل من العلم والشعر، ويشير إلى أن هذا الغموض أو التعارض بين العقل والشعر، يكون من ناحية الذاتية والموضوعية، وهو من ناحيته يسعى إلى تجاوز هذا اللبس الموجود بين الذاتية والموضوعية، ففي نظره " في قلب قصيدة ما سنبغي على الشعر أن يهبنا كلا من رؤية العالم وسر الروح، كما يهبنا الوجود والموضوعات معا وفي نفس الوقت " (Bachelard, 1970, p. 224)

كان هدفه وغاية النقدية الجمالية من خلال الاهتمام بالشعر، هو إنشاء نسق جمالي يهتم بالمحتوى الفني، والشعري على وجه الخصوص معتمدا في ذلك على الخيال باعتباره ميزة أتاحت للإنسان التعبير عن إبداعاته وأحلامه، لذا وجب الاهتمام به أكثر وفسح المجال له للإبداع والتجلي، وتحريره من العلم وقبوده الصارمة، فبالخيال والشعر تصل الذات الإنسانية إلى إنسانيتها المغيبة والمهشمة وتصبح حرة طليقة تعي وجودها " إذا تناولنا الشعر في ثورانه الطامح إلى الصيرورة الإنسانية في قمة وحي يرمي علينا الكلام الجيد،... الحالة هذه السيرة الذاتية التي تنقل لنا الماضي، ماضي الشعر الموزون؟ (سعد، 1991، صفحة 11) اعتبر "باشلار" أن لحظة الشعر هي لحظة انبثاق للوجود وتجلي له، فالكون

يتجدد وينفتح في آنية الشعر، في لحظة شعرية تكون فيها الذات الشاعرة متحررة من كل القيود، تسمو وتنفعل، وتصبح قادرة على إدراك الموجودات والتنسيق فيما بينها، وتغدو أكثر تحكما في كل ما هو متناقض لتجعله منسجما، منظما، وفقا لما تراه هذه الذات الحاملة ذلك أن " اللحظة الشعرية هي أكثر من مجرد وعي بالتناقض الوجداني، وإنما هي نفسها تناقض وجداني مثير، نشط، دينامي " (Bachelard, 1970, p. 225) بمقدور الشعر عند "باشلار" التأليف بين المتناقضات وتنظيمها، و الإضفاء عليها طابع الانسجام، حتى وإن كان وجودها الواقعي السابق غير ذالك، لكن بفضل اللحظة الشعرية تعاود الأشياء ترتيب نفسها وتتنظم، وتجتمع لتشكل كلا واحد مؤلفا، ومنسقا "إن هناك في حياة الشاعر حيث التأملات الشاردة تستوعب الواقع نفسه (الواقع بمعنى الحقيقة) كل ما يدركه هو مستوعب. فيتم ابتلاع العالم الواقع بالعالم التخيلي " (سعد، 1991، صفحة 15)

بنى "باشلار" نظريته في الشعر أثناء محاولته الربط بين فلسفة العلم وفلسفة الفن والشعر حول الصورة والمادة، فالشعر يستطيع النفاذ إلى أعماق الذات والوجود، فالصور الشعرية تحاول دائما التوغل إلى عمق، وجوهر المادة التي تكون هذه الصور الشعرية، كما نظر " إلى الصور الشعرية نظرة واعية بعيدا عن الأساطير والأوهام والأفكار المسبقة، فالصور الشعرية الحقيقية بالنسبة له هي التي تعبر عن مادة حقيقية تلامس الوجود الواقعي وتعبر عنه فقد "أدرك الشعراء بأن الصورة لكي تستمر عليها التجذر في المادة، وأن مهمتهم الأولى هي أن يرفعوا داخلنا مرساة هذه المادة التي تبتغي الحلم." (بوخليط، 2011، صفحة 39)

فكانت وظيفة القصيدة الشعرية الجديدة مع "باشلار" هي تشكيل صور جديدة تعبر عن الواقع وتتجاوزته لفتح لنا آفاقا مستقبلية فنية وجمالية تتذوق فيها الروح الشاعرة الشعر وتصغي لصوته الداخلي، فمهمة القصيدة عنده إثارة العالم وتجديده وتجديد طاقاته بحثا عن كل ما هو جديد واكتشافه، متجاوزة كل ما هو قديم مبتذل والذي يمكن أن يبعدنا عن وظيفة القصيدة ومهمتها الشعرية، وهنا يغدو "الشعر المتحرر من الانتقادات المألوفة، يغدو نموذجا حياتيا ونموذجة فكريا موزونة الإيقاعات، وذلك كان الوسيلة الأمثل لتحليل الحياة الروحية تحليلا إيقاعيا " (خليل، 1992، صفحة 175) فمعايشة الواقع والاستماع إلى انشغالات الوجود ومستجداته الراهنة، لا يكون إلا من خلال القصيدة الشعرية الهادفة التي

تحمل في طياتها أبعادا جمالية وفكرية، تمكننا من التعبير عن الرؤى الداخلية وتحرر الذات من الآلام وهموم الواقع وقضايا الوجود.

2.3 الصورة الشعرية عند باشلار

تحدث "باشلار" من ناحية أخرى حول علاقة الصورة الشعرية بالوجود ، ساعيا إلى توجيه العقل الإنساني والذات الإنسانية إلى مجال الفن والجمال ، وجعل العقل البشري يتذوق الشعر، حيث تحدث في بداية الأمر عن ربط الصورة الشعرية بالوعي الإنساني حين "يتاح ذكر العلاقة بين الصورة الشعرية الجديدة والنمط البدئي الكامن في أعماق الوعي سوف أبين أن العلاقة بينهما ليست سببية " (هلسا، 1994، صفحة 17) فعلي حسب "باشلار" أن الفرق والاختلاف بين العلم والشعر كامن في طبيعتهما كليهما ، ولكن كان من مهام الفلسفة التوفيق بين هذين القطبين وجعلهما مكملان لبعضهما، وتعتبر فلسفة الفن والجمال المجال الخصب للبحث في هذه العلاقة وإعادة إحيائها وتقريبها للفهم ، وجعل الذات الإنسانية الحاملة تتذوق الشعر وتجعله مكملا للعلم مجاورا له، " كل ما تطمح له الفلسفة هو جعلهما متكاملين وتوحيدهما باعتبارهما متناقضين، يجب مقابلة الفكر الشعري الصريح مع الفكر العلمي الصامت " (bachlar, 1949, p. 12)

اهتم "باشلار" بخبرة الوعي، لفهم والتعبير عن ماهية الصورة الشعرية معتمدا في ذلك على المنهج الفيمينولوجي للتعمق في أكثر في عمل ووظيفة الصورة الشعرية، ومدى ارتباطها بالوعي وهذا ما أكد عليه في شاعرية أحلام اليقظة قائلا في ذلك: "تضفي الصورة الشاعرية هكذا ضوءا على الوعي وأنه لمن غير المجدي أن نبحث لهذا الوعي عن سوابق لاواعية. وعلى الأقل فإن علم الظاهراتية قادر على تناول الصورة الشاعرية في كينونتها " (سعد، 1991، صفحة 07) فمن خلال الوعي والفيمينولوجيا تستطيع الصيرورة الشعرية الانبثاق والتعبير عن ذاتية الصورة، كما دعا "باشلار" من خلال قوله هذا إلى فهم الصورة الشعرية بعيدا عن السوابق الأولية ومحاولة فهمها وتفسيرها من خلال الوعي الآني المصاحب لها.

اهتم الفيلسوف، والشاعر والأديب "باشلار" بماهية الصورة الشعرية وفهمها رابطا إياها بالخبرة الذاتية مع إبراز دائم لأهمية الوعي الذي يعبر عن الارتباط بين الذات والموضوع ، فهو يرى أن الذات لها موضوع مستقل عن الواقع ، فهو قد تجاوز ظاهرية "هوسرل" التي

تعني اتجاه الوعي نحو الموضوع، في حين أقر "باشلار" بوجود مواضع ومواطن تخص الذات لوحدها، تكون مستقلة عن الوجود الخارجي، باعتبار أن الموضوع يتحدد، وينبثق من خلال وعينا له ومدى فهمنا له " فالاختلاف هنا بين الظاهراتية الفلسفية وظاهراتية باشلار الشعرية في المادة ، فالظاهراتية تتبنى فكرة قصدية الوعي....ولكن باشلار يخالف الظاهراتية الفلسفية في ماهية الموضوع الذي يراه نتاج وعي الذات وإدراكها ولا علاقة له بالتجسد الواقعي " (وردية و جعيداني، 2022، صفحة 159) أكد "باشلار" من خلال مشروعه حول الوعي على استقلالية الذات عن العالم الخارجي، وأن لكل من الذات والموضوع وجود خاص به يكون مستقل عن الآخر، وليس بالضرورة الارتباط التام لهما بحيث تتخطى الذات " ذاتها متجهة نحو فهم الواقع أو العالم الذي تحيا فيه على ضوء إمكانياتها الخاصة، وكذلك عن طريق وجودنا المختلف والمغاير عن وجود الموضوع " (الإمام، 2010، صفحة 136)

تحدث فيلسوفنا الحالم أيضا عن العقل والروح، ملحا على التمييز بينهما معتبرا أن العقل هو الجانب الموضوعي للوعي ، في حين أن الروح تمثل الجانب الذاتي الذي يعبر هو الآخر عن الصورة الشعرية، وبالتالي فهذه الأخيرة تتجسد وتنبثق من خلال الروح المعبرة عنها ، ومن خلالها تتحرر الذات وتتحصن وتنطلق لتحمي مصيرها وتعبر عنه من خلال هذه الروح ، والشعر باعتباره روحا فهو يقوم بتقمص كل الأدوار التي تحمي الذات وتحررها، وهذا ما عبر عنه "باشلار" قائلا: "الشعر هو روح تفتح شكلا، بمعنى أن الشعر بوصفه روحا، فإنه يفتح لنا آفاق عالم جديد ألا وهو عالم، الصورة الشعرية لننفتح عليه في تكشفه وظهوره " (الإمام، 2010، صفحة 159) فالصورة الشعرية تبرز وتظهر للعلن وتتجلى من خلال الروح ومن خلالها أيضا تصبح مرئية واضحة بعيدة عن اللبس والغموض، غايتها التعبير عن مواطن الجمال والقوة الباطنية للروح الشاعرة. للروح أهمية بالغة في تحرير أجسادنا ومشاعرنا بعيدا عن العقل وتأملاته، فمن منظور «باشلار» أن الأعمال الفنية والصور الجمالية مصدرها الروح وليس العقل، معتبرا أن الشعر أكثر المجالات تعبيرا عن الروح وملازمة لها ذلك " أن الأهمية الصورية وحدها يجذب أن تجذب انتباه ظاهراتي الشعر. أن كلمة الروح يمكن تلاوتها شعريا باقتناع يجعلها تشكل التزاما للقصيدة لكها. ولهذا فإن السجل الشعري المماثل لكلمة الروح يجب أن يظل منفتحا لفحوصنا وتقصيلاتنا الظاهراتية " (هلسا، 1994، صفحة 20)

نظر "باشلار" للوعي المتصل بالروح باعتباره وعيا أكثر استرخاء وأكثر نضجا وإبداعا، لأن فيه تنبثق الأشعار والفنون ومجمل قضايا الجمال، وفيه ينبثق الإلهام والإبداع ويصبح مرثيا، في حين أن الوعي المصاحب للعقل دائما ما يكون منغلقا متحجرا يغفل عن كثير من الفنون والإبداعات والتذوق الجمالي، ففي الوعي العقلي عند "باشلار" يُحبس الإلهام ويتلاشى وتصبح الروح الشاعرة تعاني من الانغلاق والركود تحت سيطرة الأحكام العقلية والمعطيات الصارمة التي يمنها العقل ويفرضها على الذات، ولكن مع هذا فإننا نجد أن "باشلار" يعترف و يقر بأهمية الوعي العقلي لملازمة الوعي الروحي، فمن خلالهما تصبح الصورة الشعرية ككل واضحة جلية مرئية ومؤثرة تفرض نفسها على الذات ، فهناك ضرورة ملحة إذن لوجود كل من العقل والروح معا "لتتبع تطور الصور الشعرية في حالة الراحة الأصلية إلى أن تتحقق عندما نتقين أن الشاعر لم يعد مستغرقا في حالة خدر.وفي حالة الاسترخاء الشعري يستريح العقل ولكن الروح يقظة دون توتر " (هلسا، 1994، صفحة 21) بهذا تكون الصورة الشعرية ذلك الإبداع الذي يمنح الوجود القوة ويصر على الإبداع والتجديد بعيدا عن التقليد أو المحاكاة، فهي تعبير عن الواقع وكشف للعالم، تعيد إبداع الموضوعات وتجديدها لجعلها توافق طموحات الذات وتعبر عن ماهيتها و عن باطنها، لتكتشف مواطن جمالية وفنية أكثر استرخاء وإنارة تزيد من سمو الروح" فكل صورة بسيطة تكون كاشفة للعالم. ويعني ذلك أننا لا نحيا من خلال الصورة الشعرية الظهور والتجلي الجديد لعالمنا الإنساني فحسب، بل إن الحياة نفسها تصبح متجلية عبر حيويتها وديناميتها المتغيرة والمتجددة دوما " (الإمام، 2010، صفحة 153)

4. الروح الشاعرية عن باشلار

1.4 الخيال الشعري

إن مصدر إي إبداع، أو أي إلهام أو صور فنية جمالية، هو الخيال الذي يتفق حول أهميته وضرورته الكل من فنانون وأدباء ونقاد، وحتى فلاسفة، فتكمن غايته في إبراز جمالية العالم وخروج الفن والإبداع والإلهام إلى مواطن وعوالم أكثر انكشافا وتفتحا، وتجليا، فكل الفنون والقضايا الإبداعية تنطلق من الخيال الخالص النبع من الذات الحاملة والشاعرة والمبدعة ، فالصور الشعرية باعتبارها فنا، كان منطلقها الخيال الشعري ، ففيه تتألف

هذه الصور وتجتمع لتصبح شعرا خالصا مهذبا ومنسقا ومنسجما ، ونظرا لأهمية الخيال الشعري فقد أولى له "باشلار" له أهمية خاصة وجعله منطلقا لكل إبداع شعري ، فالبحر الخيال الشعري يمكننا اكتشاف وتجربة واستشراق عوالم جديدة، تكون فيها الروح الشاعرة أكثر تحررا وانطلاقا، وأكثر إبداعا وإلهاما، تسعى للنفاذ إلى أعماق الذوات والوجود من خلال الخيال الشعري، فبه تنتظم الأفكار والصور، لتغدو صورا شعرية منتظمة ومنسقة، يصبح هذا الشعر الناتج عن الخيال من أعظم الأشعار " فبواسطة التخيل وبفضل دقة وظيفة اللاواقع، ندخل في عالم الثقة، عالم الكائن الوثوق ، أي عالم التأملات الشاردة بالذات " (سعد، 1991، صفحة 16)

يشيد "باشلار" بأهمية الخيال في إنتاج الصور الفنية " فالخيال عنده بمثابة الكيفية الإنسانية الحصينة التي تطعم العلم وتنعشه ، أو بتعبير آخر، الخيال هو شرط الإنتاجية العلمية... فقد رأى باشلار الخيال وحلم اليقظة على نحو ما فكر في العقل بوصفهما قوى إبداعية في المعرفة " (الإمام، 2010، صفحة 42) فهو قد ركز في بحثه في فلسفة الفن والشعر على دور الخيال الفعال في الإبداع وإنتاج الصور الشعرية ، فالشعر الحقيقي عنده والسامي يعرف ويفهم وينبثق من خلال الخيال الشعري قائلا في ذلك " فبواسطة فاهمة التخيل الشعري تجد روح الشاعر الفرجة الواعية لكل شعر حقيقي " (سعد، 1991، صفحة 08)

الخيال الشعري عند "باشلار" يستطيع تجاوز العالم الواقعي، وينفذ إلى عالم غيبي بحثا عن الحقيقة، وعن المعارف اليقينية وعن كل ما هو جميل يريح الذات والروح معا، فهو قادر على كشف مواطن باطنية لكل الموجودات ويعيد بلورتها وتجديدها، و يعمل على خلق صور جديدة فاسحا المجال للإبداع والانكشاف والتجلي بعيدا عن الركود الفكري، والنفسي والروحي الذي يلف الذات الشاعرة، فهو إذن يتسامى عن الواقع ويتجاوزه ليحيا ويظهر بصور فنية وجمالية أكثر تنظيما وانسجاما، فهو ينفتح عن عوالم جديدة " إنها انفتاح عن عالم جميل ، على عوالم جميلة ، وهي تعطي لل "أنا" "لا أنا" "هي بالذات سعادة ال "أنا" "أنها ال "أنا" التي أملكها. إنها هذه "اللاأنا" التي تسعد أنا الحلم " (سعد، 1991، صفحة 15) فالخيار الباشلاري " إذا يصبح تلك الملكة التي تحول العالم والوجود، و الأحداث

والصور إلى أشياء مبدعة وخلاقة جديدة ومستحدثة تواكب الروح الشاعرة وتسايروها في تغييرها وتطلعها واستشرافها.

إن اهتمام "باشلار" بالخيال جاء من خلال اهتمامه بالشعر والصور الشعرية، يمكننا بالخيال إنتاج صور شعرية في غاية الدقة والجمال و الانسجام والتنسيق ، فالخيال هو تلك الملكة التي يصدر عن الشعر الهادف والمؤثر النابع من الروح الشاعرة الحاملة التي تلعب هي الأخرى دورا من خلال تحفيز الخيال وتحريره من قبضة العقل والروح العلمية، فالخيال يصبح ساميا متعاليا يطمع إلى الكمال خلال اتصاله بالقول الشعري الذي يعتبر هو الآخر الأرض الخصبة لعمل المخيلة ، فالشعر يمنحها القوة للتجلي و الظهور للعلن، فعند اتصال الخيال بالشعر يمكن للذات والروح الشاعرة أن تنطلق وتتنبأ بقضايا الواقع وتستشرف المستقبل، بحيث " يفصلنا الخيال عن الماضي وعن الواقع ، أنه يواجه المستقبل يجب أن تضاف إليها وظيفة اللاواقع ..إذا عجزنا عن التخیل فسوف نعجز عن التنبؤ" (هلسا، 1994، صفحة 30) كما أن للخيال القدرة على إحياء الذات الشاعرة ومنحها شاعريتها التي تسمو بروح الإنسان وتبعده عن مشكلات واقعه وآلامه لمعايشة عالم لاواقعي مختلف عن الأول، فالعلاقة بين الخيال والشعر هنا تكاملية منسجمة كلاهما يمنح الآخر القوة والدافع لاستمرار والانبثاق، فقد كان ولا يزال للخيال الشعري قدرة فعالة في فهم مستجدات العالم اللاواقعي ومعايشته ، فالخيال الشعري يصبح ذلك اللاواقع الذي ينير الواقع وينفتح على العالم والطبيعة فعند باشلار " أنه من المستحيل الاستجابة نفسيا للشعر إلا إذا أصبحت وظيفتا الواقع واللاواقع متعاونتين " (هلسا، 1994، صفحة 30)

الخيال الشعري "الباشلاري" هو سمة للإبداع وللتميز ولإعادة إنتاج صور فنية وشعرية جديدة ، فهو يجعل من الوجود أكثر عمقا وتجسدا واستمرارية بحثا عن مواطن الحقيقة والجمال، فالخيال الشعري يظهر وينفتح من خلال الصور الشعرية التي تساعد على الانبثاق والتجلي ، وكذلك من خلال الخيال يمكن للشعر التحرر وتجاوز التقليدي والثابت "إن هناك ساعات في حياة الشاعر حيث التأملات الشاردة تستوعب الواقع نفسه (الواقع بمعنى الحقيقة) كل ما يدركه هو مستوعب، فيتم ابتلاع العالم الواقع بالعالم التخيلي، ... أن المخيلة قادرة على أن تجعلنا نخلق ما نرى" (سعد، 1991، صفحة 16) يصير "باشلار" على

العمل بالمخيلة وتحفيزها لإنتاج شعر رفيع ذو مستوى ،فهو يرى أن وظيفة المخيلة هو الولوج واقتحام عالم مليء بالثقة والإبداع ، فيه تحيا الذات الشاعرة عالمها اللاواقعي لتستجمع قوتها وتعبر عن وجودها وتكشف تماسكها وصلابتها، من خلال عالمها التخيلي الشعري.

رأى "باشلار" أن الخيال الشعري يستمد صوره من صور الطبيعة ، فالطبيعة هي المصدر والمرجع الأصلي والفعال لإنتاج الصور الشعرية والجمالية ، فهو يفسر الوجود تبعاً لهذه الصور، فدور الخيال هنا إعادة تجديد وإظهار الصور المادية الموجودة في الطبيعة وإعادة بلورتها لتصبح بدورها صوراً فنية يعمل الخيال على إعادة استحضارها وتجديدها وصياغتها في قالب فني أو شعري مميز، وهنا تكون مهمة الخيال الشعري عند "باشلار" عندئذ الرجوع إلى العناصر الأولية للطبيعة، ثم تجاوزها بإبداع صور شعرية جمالية جديدة تتجاوز الواقع و الطبيعة، فهو يحول الصور المادية إلى صور شعرية ويجعلها مألوفة ومعبرة عن الذات الشاعرة وهمومها وآفاقها، الخيال الشعري عنده يقتحم عالم الثقة ويتعمق في فهم العالم وكيئونة الروح الشاعرة " فالخيال لا يجعل الطبيعة أو بالأحرى العناصر الطبيعية أكثر عمقا وحيوية فحس، وإنما يعمق إحساسنا أيضا بالألفة نحو تلك العناصر الطبيعية أو الصور المادية التي تتسم بالجمال الأليف الكامن في باطن الأشياء " (الإمام، 2010، صفحة 255)

يتسامى الخيال وينشط ويكون أكثر انفتاحاً، حين يرتبط بالطبيعة من خلال إعادة بعثها في صور شعرية جديدة ومتجددة ومستمرة ، فهو يتطور من خلال العالم المادي الذي يشكل اللبنة الأولى، فالصور الشعرية تتغذى عن الصور المادية ومن خلالها تتجلى وتظهر، وتنبثق " فحياة الخيال هي بحق حياة الطبيعة التي تستمد منها صوره، والتي تظهر بدورها وتصبح متجلية عبر حيويتها في القصائد وهذا ما أكد عليه باشلار " الصور الأولية هي مبادئ الحياة المتخيلة نفسها ، تلك التي تفسر في وقت واحد العالم والإنسان " (الإمام، 2010، صفحة 256).

5. خاتمة:

- ✓ إن انتقال "باشلار" من فلسفة العلوم إلى فلسفة الفن والجمال لم يكن عبثاً أو بمحض الصدفة، بل كان بمثابة خاتمة لأعماله الفكرية والعلمية، فعكف على دراسة الأدب والشعر لتذوق الجمال وملامسة الروح الشاعرة، والانفتاح عليها وعن العوالم الجمالية الأخرى..
- ✓ سعى "باشلار" من خلال جمعه بين الفلسفة والفنون إلى تجاوز الغموض الذي يلف الواقع والبحث عن عالم لا واقعي تلعب فيه الروح الشاعرة دور الحالم والمتذوق لتتغمس في عشق الفن وتتذوقه، وتتجاوز الركود والآلام التي تلف الذات بحثاً عن آفاق مستقبلية عمادها الروح الشاعرة.
- ✓ اهتم "باشلار" بالوعي وبالخبرة الذاتية من أجل إنتاج الصور الشعرية، معتبراً أن الصور الفنية ما هي إلا امتدادات للطبيعة وتعبيراً عنها، حيث قدم وظيفة للشعر والتي تقوم على تغيير عناصر الطبيعة وإعادة بلورتها وإخراجها في صور شعرية تفيض بالأحاسيس والجمال.
- ✓ أكد "باشلار" على أن كلا من العلم والفن هما قطبان متكاملان، وأن مهمة الذات الشاعرة الجمع بينهما، وتوظيفهما في ممارسة الوجود الإنساني بحيث تصبح هذه الذات قادرة على إنتاج صور فنية وإبداعية معتمدة على الخيال والأحلام.
- ✓ توصل "باشلار" في الأخير إلى أن هناك فلسفة فنية جمالية عمادها الخيال والصور الشعرية وهي امتداد وتكملة لفلسفة العلم، هدفها تخلص الذات الإنسانية والخيالات وتحرير العقول من الهوس نحو تتبع العلوم فقط، فكانت مهمة الروح الشاعرية مع "باشلار" تحرير العقل والروح معاً، والانطلاق والانفتاح على عوالم جديدة، وكذا المشاركة في تحليل الخبرة الجمالية للذات الشاعرة عن طريق القصيدة الشعرية، والفن والنصوص الأدبية بصفة عامة.

5. قائمة المراجع:

. المراجع المترجمة الى اللغة الإنجليزية .

•Literature.

1. Said Boukhalit. (2011). Gaston Bachelard Towards a Theory in Literature . Beirut, Lebanon, Al-Ikhtifaa Publications, Dar Al-Farabi.
2. Ronald Straw Tower. (1994). History of Modern European Thought, (1601-1977). Egypt: Arab Reader House.
3. Salama, R. W. (1992). Theory of literature . Kingdom of Saudi Arabia: Mars Publishing House.
4. Abdullah al-Tatawi. (1992). The movement of poetry between philosophy and history. Cairo: Dar Al Thaqafa for Publishing and Distribution.
5. Abdullah Al-Ashi. (2009). Poetic questions, research on the mechanism of poetic creativity. Algeria: Difference Publications.
6. Gadamer Hans translation, Said Tawfik. (1997). The Manifestation of the Beautiful and Other Essays. Cairo: Supreme Council of Culture.
7. Gaston Bachelard, translated by Ahmed Khalil. (1992). The dialectic of time. Beirut, Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
8. Gaston Bachelard, translated by Georges Saad. (1991). The Poetics of Daydreaming. Beirut, Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
9. Gaston Bachelard, translated by Ghalib Hals. (1994). Aesthetics of the place. Beirut, Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution
10. Gaston Bachelard, Ghada Al-Imam. (2010). Aesthetics of the image. Beirut, Lebanon: Al-Tanweer Printing and Shnner.
11. Jean-Marie Guillaud, translated by Sami Droubi. (1948). Questions of Philosophy of Contemporary Art. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
12. Muhammad Shafiq Sheba. (2009). In Philosophical Literature. Egypt: University Foundation for Studies, Publishing and Distribu
13. Bachelard. (1970). Le droit de reve . Paris: universtaire de France
14. bachlar, G. (1949). La psychanalyse du feu. Paris: édition gallimard.

Articles:

1. Nafai Warda, and Nasira Jaidani. (2022). From the philosophy of science to the philosophy of poetry -Gaston Bachelard as a model-. Al-Ma"yar Magazine, Volume 26, Issue 05, page 159.

• قائمة المراجع:

• المؤلفات.

1. سعيد بوخليط. (2011). غاستون باشلار نحو نظرية في الأدب . بيروت، لبنان ، منشورات الإختلاف، دار الفرابي .
2. رونالد سترو مبرج. (1994). تاريخ الفكر الاوروبي الحديث، (1601-1977) . مصر : دار القارئ العربي .
3. سلامة ر. و. (1992) نظرية الأدب . المملكة العربية السعودية :دار المريخ للنشر .
4. عبد الله التطاوي. (1992). حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ . القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع .
5. عبد الله العشي. (2009). أسئلة الشعرية ، بحث في آلية الإبداع الشعري . الجزائر : منشورات الإختلاف.
6. غادامير هانس ترجمة ، سعيد توفيق. (1997). تجلي الجميل ومقالات أخرى . القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة .
7. غاستون باشلار ،ترجمة أحمد خليل. (1992). جبلية الزمن. بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
8. غاستون باشلار، ترجمة جورج سعد. (1991). شاعرية احلام اليقظة. بيروت ، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
9. غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا. (1994). جماليات المكان . بيروت ، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
10. غاستون باشلار، غادة الإمام. (2010). جماليات الصورة . بيروت، لبنان: التنوير للطباعة والنشر .
11. جان ماري جويو ، ترجمة سامي الدروبي. (1948). مسائل فلسفة الفن المعاصر . القاهرة : دار الفكر العربي .

12. محمد شفيق شيبا. (2009). في الأدب الفلسفي . مصر : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

● المقالات:

نفاي وردية، و نصيرة جعيداني. (2022). من فلسفة العلم إلى فلسفة الشعر -غاستون باشلار
نموذجاً- . مجلة المعيار ، المجلد 26، العدد 05، صفحة 159 .

13. Bachelard. (1970). le droit de reve . paris: universtaire de france.

14. bachlar, G. (1949). la psychanalyse du feu. paris: édition gallimard.